الصبر والثبات في طلب العلم

المناسبة: الزيارة الخاصة لمدينة قم.

المكان: قم المقدسة ـ حرم السيدة المعصومة عليها السلام.

الزمان: 1389/08/03هـ.ش. 1431/11/17هـ.ق. 2010/10/25م.

الحضور: إدارة جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية وجمع غفير من الطلاب غير الإيرانيين في مدينة قم.

4321

والحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم المصطفى محمّد، وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديّين المعصومين، سيّما بقية الله في الأرضين.

السّلام عليك يا فاطمة يا بنت موسى بن جعفر، أيّتها المعصومة، سلام الله عليك وعلى آبائك الطيّبين الطّاهرين المعصومين.

أنا سعيد جداً أن وفّقت اليوم لهذا اللقاء، لأعيش هذه الدقائق الثمينة بين جمع من الطلاب والفضلاء غير الإيرانيين، وهم جالسون جنباً إلى جنب مع أساتذتهم ومدرسيهم ومدرائهم.

إعلموا أيّها الطلاب والفضلاء غير الإيرانيين أنّكم لستم غرباء في

الجمهورية الإسلامية، ولستم ضيوفاً بل أنتم أصحاب البيت، وأنتم أبنائي الأعزاء.

نحن نرحّب بقدوم هذه الفراشات الوالهة، التي انجذبت إلى هذه الديار شوقاً لتعلّم المعارف الإسلامية الأصيلة.

إننا نعلم بالمسؤولية المترتبة علينا، وهي العمل بقدر ما نستطيع من أجل أن نضع بين أيديكم ـ أيّها الأعزاء ـ ما نمتلكه من علوم إسلامية أصيلة، ومعارف أهل البيت عليهم السلام.

إنّ أول الدروس التي تعلمناها من الثورة الإسلامية ونظام الجمهورية الإسلامية المبارك، هو أن نحوّل نظرتنا من الأطر الضيقة المنحصرة في حدود الشعب الإيراني إلى الميدان الواسع للأمّة الإسلامية، فقد علّمنا إمامنا العظيم كيف نمدّ نظرتنا نحو ساحة الأمّة العظيمة.

صحيح أنّ إيران كانت تُسحق، وتعاني من حالة الاحتضار في عهد الطاغوت؛ نتيجة لضغط الاستبداد والاستعمار، وكان لابد من إنقاذها، إلا أنّ الضغط الأساسي والغزو الرئيسي كان يتمثّل بالغزو التاريخي على الأمّة الإسلامية، فقد كانت هذه الأمّة الإسلامية العظمى التي تقع في مناطق حساسة من جغرافيا العالم، تعاني من الضعف والانكسار والتخلّف، والتسلّط، والفقر ـ المادي والمعنوي ـ بسبب تدخّل القوى الكبرى، وأطماع الدول العظمى، وتجاوز وتعدي الاستكبار على امتداد عدّة قرون.

إنّ الثورة الإسلامية تتطلع إلى إنقاذ العالم الإسلامي، ورفع أيدي الظلمة

والمعتدين المستكبرين عن أعناق الشعوب الإسلامية وعن حياتها؛ لـذا عنـدما انتصرت الثورة الإسلامية في إيران شعرت الشعوب الإسلامية في شرق الأرض وغربها بأنفاس جديدة، وأنّ الأجواء قد تغيّرت، كما أحست بالانفراج والسعة في عملها ونشاطها، ونتيجة لذلك شعر المسلمون في أفريقيا وأسـيا، بـل فـي جميع المناطق التي يقطنوها أنّ انتصـار الثـورة الإسـلامية، وتأسـيس النظـام الإسلامية فتح أمامهم آفاقاً جديدة، وهذا كنّا نتعلمه من إمامنـا ومـنهج النظـام الإسلامي الواضح، من البداية وإلى الآن.

إنّ البعض من هذا العمل العظيم هو ما تقومون بأدائه، فأنتم قـد اجتمعـتم هنا بعد أن أقبلتم من ما يقرب من **100** بلد؛ من أجل تعلّم المعارف الإسلامية الأصيلة المنجية، علماً أنّ هدفنا ليس هو القيام بتصدير الثورة إلى هذا البلد أو ذاك على أساس المفردات المتعارفة في القاموس السياسي؛ لأنّ الثورة ليسـت من الأمور التي يمكن تصـديرها بالأسـاليب السياسـية أو تطويرهـا بالوسـائل العسكرية أو الأمنية؛ هذا فهم خاطئ لموضوع الثورة؛ لذا فإننا قد سددنا أبواب هذا الفهم منذ البداية.

إنّ هدف الجمهورية الإسلامية هو إعادة توليد معارف الإسلام السامية؛ لأنّ تمسّك الشعوب المسلمة بهذه المعارف والتعاليم المنجيّة، يمهّد الأرضية لشعور الأمة الإسلامية بهويتها وكيانها؛ ويعلّمها المراد من قوله تعالى: ﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾[1]؛ ما هي إذاً هذه الأغـلال التـي قيّـدت الناس في الأجواء المليئة بالشرك، وأراد الإسلام أن يضعها عنهم؟ إنّها الحقائق

(1) سورة الأعراف، الآية: **157**.

التي غفلت الأمّة الإسلامية عنها مدّة طويلة من الزمن، فالأمّة يمكن لها اليوم أن تكون حرّة ومتطورة وعالمة وعزيزة ومقتدرة، ببركة امتلاكها للتعاليم الإسلامية، مع أنّ الاستكبار والأجهزة الاستعمارية سعت على امتداد قرنين من أجل إزالة هذه المفاهيم من أذهان المسلمين؛ ليغفلوا عن هويتهم، وتتاح لهم فرصة التجاوز على القدرات السياسية والاقتصادية للشعوب المسلمة، والتطاول على ثقافتها الأصيلة، فقامت الثورة بإيقاظ الِشعوب الإسلامية وتذكيرها بذلك.

إنّكم اليوم تمتلكون هذه الفرصة العظيمة في الجمهورية الإسلامية، حيث تدرسون المعارف الإسلامية في العاصمة العلمية قم وجامعتها المباركة (جامعة المصطفى) ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ﴾[1]، فأنتم تستطيعون أن تكونوا نوراً يضيء الطريق للآخرين، وهذا ما يحتاج له العالم الإسلامي اليوم.

بالتأكيد أنتم تعيشون أيام الغربة، وإن كان البيت بيتكم، لكنّكم بعيدون عن أهلكم، وأقربائكم، وأسركم، تتحملون الصعاب، وتواجهون المشاكل، أنتم وزوجاتكم وأبناؤكم تتعرضون إلى بعض المشاكل، لكن عليكم بالثبات. إنّ الله تعالى بيّن للنبي ﷺ في بداية البعثة مجموعة من العقبات التي قد تواجهه في طريقه؛ ليكتسب من خلال التغلّب عليها القدرة على حمل الرسالة الثقيلة والمسؤولية الجسيمة، ومن جملة هذه العقبات الصبر ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا

(1) سورة التوبة، الآية: 122.

تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[1]، فقد وضع الله تعالى عقبة الصبر أمام النبي ﷺ، ولابد من الصبر؛ أي عدم الشعور بالضجر، والتغلّب على المشاكل، فطريقنا مملوء بالمشاكل، وعلينا أن لا نُهزم أمامها، وهذا أيضاً من الدروس التي علّمها لنا الإمام قُدِّسَ سِرُّه عملياً؛ فقد كان الإمام قُدِّسَ سِرُّه صابراً.

عندما كان صوت الإمام قُدِّسَ سِرُّه يصدع في مدينة قم، لم يكن يجد له ناصراً سوى الطلاب؛ لقد كان غريباً، الإمام كان غريباً في وطنه وفي مدينته، لكنّه كان ثابتاً، لقد تعرّض هذا الرجل العظيم لأنواع الضغوط ـ المادية والمعنوية ـ لكنّه صمد وثبت ـ «المؤمن كالجبل الرّاسخ لا تحرّكه العواصف» ـ فلم تكن تلك العواصف تحرّك تلك الإرادة الفولاذية وذلك العزم الراسخ؛ لأنّ عين الماء عندما تنبع من قمّة الجبل سترتوي السفوح والوديان؛ لقد تدفّق الصبر من الإمام، فتعلم الآخرون الصبر منه؛ وصبروا، ولقد تمكن الشعب الإيراني أن ينتصر على جميع المؤامرات ببركة هذا الصبر.

هل تعلمون كم مؤامرة دُبّرت ضد هذا الشعب، وكم خنجر مسموم خفي استهدفه منذ بداية الثورة الإسلامية الإيراني حتى اليوم؟ إحدى هذه المؤامرات حرب السنوات الثمانية، فقد فُرضت علينا حرب لمدّة ثمان سنوات، ومن المؤامرات الأخرى على الجمهورية الإسلامية، فرض الحصار لمدّة ثلاثين سنة، واليوم ـ أيضاً ـ يثير المتغطرسون الضجيج بشأن العقوبات على إيران، علماً أنّ هذا الحصار لم يُفرض على إيران اليوم، بل إنّ الجمهورية الإسلامية تعاني

---

(1) سورة المدثر، الآية: 1ـ 7.

لثلاثين عاماً من الحصار الاقتصادي، إلا أنّ صبر هذا الشعب وثباته تغلّب على جميع هذه العداوات والمساعي الخبيثة، واليوم ـ بحول الله وقوته ـ أصبحت الجمهورية الإسلامية تعيش في قمّة الاقتدار السياسي والأمني.

لا تنسوا الصبر والثبات والصمود؛ فهي أهم الأمور في برنامج حياة أي إنسان يتطلّع إلى هدف سامي، فأنتم ذخائر الإسلام، ورأسماله العظيم، عليكم أن تتعلموا هنا جيداً، وتنطلقوا جيداً في أجواء الثورة ونظام الجمهورية الإسلامية؛ لتعودوا في الوقت المناسب ـ بإذن الله تعالى ـ إلى شعوبكم وتنقلوا هذه الحقائق وأنتم متسلحون بسلاح الحلم والأخلاق والتواضع والعطف والمحبة للناس.

إنّ الهدف من حضوركم ليس هدفاً سياسياً، بل هدف علمي وتربوي؛ هدف ذا شفافية وواضح جداً؛ فإنّ العلم الواضح والموعظة الحسنة لها من يسمعها. قال الإمام علي بن موسى الرّضا عليه السلام لأحد أصحابه: «رحم اللَّه عبداً أحيا أمرنا، قال: فقلت له كيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلّم علومنا ويعلّمها النّاس، فانّ النّاس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا»[1].

أنتم لستم بحاجة لطرق باب هذا أو ذاك؛ من أجل نشر معارف أهل البيت عليهم السلام، ولستم بحاجة إلى الطعن في كلام هذا أو التعرّض لذاك، بل يكفي لنشر هذه المعارفهذا المقدار الذي تدركونه بشكل صحيح، وتعلموه الآخرين، فإنّ هذه المعارف التوحيدية وهذه العلوم الإنسانية، وهذه المسائل الكثيرة التي

(1) بحار الأنوار: ج 2، ص30.

تهتم بحياة البشر، هي بذاتها جذابة، تجذب القلوب، وتدفع الناس للتوجه نحو الأئمة المعصومين عليهم السلام.

إنّ هذه فرصة عظيمة لكم، فأنتم من قوميات متعددة وقد أقبلتم من بلدان مختلفة لتجتمعوا هنا، بحيث أصبح لكل منكم فرصة التعرّف على أخيه المسلم وثقافته الوطنية في هذه الأجواء الإيمانية.

فأنت الذي أقبلت من القارة الأوربية تتمكن من الارتباط مع الذي أقبل من شرق آسيا، وأنت الذي أقبلت من أفريقيا يمكنك الارتباط مع الذي أقبل من دول الشرق الأوسط، لقد اجتمعت هنا نخب الشعوب، فعليكم بالتعارف، تعرفوا على الآخرين وثقافاتهم وطموحاتهم، والأهداف السامية التي يتطلع إليها كل منكم، تعلّموا هذه الأمور من بعضكم؛ من أجل تحقيق اجتماع إسلامي موحد، فهذه فرصة عظيمةً أمامكم، لا تتحقق في مكان آخر، فلقد تأسست هنا نواة عالمية علمية إسلامية، ومن خلال اجتماعكم، وانطلاقكم في أجواء واحدة، وتعرّف بعضكم على الآخر، يمكنكم تأسيس نواة عالمية علمية إسلامية جامعة رائدة؛ فعليكم استثمار هذه الفرصة بكل ما أوتيتم من قوة.

أيّها الشباب: إنّ أعظم ثروة يمتلكها الشاب القلب الطاهر والنوراني. أيّها الأعزاء: عليكم أن تستغلّوا هذا القلب النوراني، وتقووا علاقتكم مع الله، فإذا تمكّن الشباب من معرفة الله تعالى وعرض قلبه عليه من خلال الخشوع والذكر والتضرّع والتوسل، سيكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾[1]؛ لأنّ نور الله تعالى سيُقذف في قلبه، اجتنبوا المعصية، واستأنسوا بالله، واغتنموا أوقات

(1) سورة النور، الآية: 35.

الصلاة، فإنّ ذلك من أعظم الأمور.

إنّ أعظم نعم الله تعالى الصلاة، فهي تعطينا فرصة اللقاء مع الله والتحدّث إليه عدّة مرات يومياً، نتكلم معه ونستمد العون منه ونعرض حاجاتنا عليه، ونقوّي علاقتنا بالساحة الربوبية بواسطة هذا التضرّع وهذا التوسل؛ لذا فإنّ علماءنا العظام كانوا يعطون أهمية كبيرة للصلاة، والصلاة بيد الجميع، مع أننا غالباً ما نغفل عن أهمية الصلاة، فالصلاة ليست إسقاط للتكليف وحسب؛ كلا، بل هي فرصة عظيمة يجب الاستفادة منها، قال رسول الله ﷺ: «أرأيتم لو أنّ نهراً بباب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا قال: فذلك مثل الصلوات الخمس»[1]. فإنّ هذا الاغتسال يمكن أن يخلّف في قلوب الشباب آثاراً خالدة، فمن خلال الطهارة والتقوى يجري الله على ألسنتنا الحكمة والموعظة المؤثرة.

إنّ المعنوية التي كان يمتلكها الإمام قدس سره، وصفاءه الباطني، وعلاقته بالله، ودموعه التي كان يذرفها منتصف الليل؛ كانت من جملة أسباب التأثير المدهش الذي كانت تؤديه كلمة واحدة يلقيها الإمام بين الحشود الغفيرة من أبناء الشعب الإيراني، في الشدّة والمحنّة، بل في جميع الحالات، لقد كان ابن الإمام ـ المرحوم الحاج السيد أحمد ـ في أيام حياة أبيه يقول: عندما كان يستيقظ الإمام في منتصف الليل، كانت لا تكفي المناديل العادية التي يستخدمها في كفّ دموعه، فيضطر لاستعمال المنشفة من أجل ذلك، فإنّ هذا

(1) عوالي اللئالي: ج1، ص110.

الرجل الفولاذي، الذي لا تزعزعه الحوادث والضربات المتواصلة التي يهتز لها شعب بأكمله، وكان يرى عظمة وهيمنة القوى المستكبرة تافهة أمامه، هكذا كان يهدر دموعه أمام العظمة الإلهية في أوقات الدعاء والتضرع، هذه فرصة عظيمة وعليكم استغلالها ومعرفة قيمتها.

إنني أكرر القول مرّة أخرى، أنا سعيد اليوم بلقائكم أيّها الأعزاء، وعلي أن أقدّم خالص شكري لسماحة الشيخ أعرافي ومسؤولي جامعة المصطفى ومدرسيها وسائر العاملين فيها، وجميع الأخوة الذين لهم دور في دفع عجلة هذه الحركة العظيمة إلى الأمام، وأسأل الله تعالى أن يشمل بلطفه وعنايته جميع من ساهم في تطوير هذه المسيرة.

والسّلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته